الحركة الواعية بين دال الدعوة ودال الدولة

اقترفها:

أحمد محمود خونة الجكني

وقدّم لها:

فضيلة الشيخ الأستاذ محمد أحمد الراشد

الحركة الواعية
بين
دال الدعوة ودال الدولة

اقترفها:

أحمد محمود خونة الجكني

وقدّم لها:

فضيلة الشيخ الأستاذ محمد أحمد الراشد

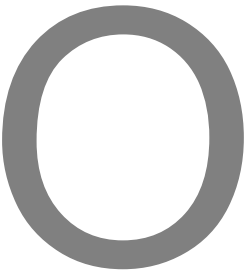

الطبعة الأولى - الجزائر
1436هـ - 2014 م

❑ تقريظ الأستاذ صهيب مُحسن عبد الحميد

مقالة قيمة ومهمة، وكُتبت بأسلوبٍ رشيق، والأوساط الدعوية بحاجة إلى الإكثار من مثل هذه المقالة المعتمدة على آراءٍ أصيلة تحويها كتب الفقه السياسي، ولا سيما لعلماء السلف الوعاة الذين أدركوا المقاصد والمصالح، كالعز بن عبد السلام وابن تيمية في القديم، **والإمام البنا وعبد الحميد بن باديس في العصر الحديث**، وهذه المقالة **يجب أن يتدارسها دعاة الإسلام وشباب الصحوة، وبذلك أوصي.**

صهيب محسن عبد الحميد

❑ تقريظ الأستاذ والشيخ أحمد محمد الراشد

مقالة صحيحة المعاني، يُمكن تخريج مذاهبها على المعروف المشتهر من أقوال فقهاء السياسة الشرعية، وبخاصة إذا استحضرنا معاني الضرورات التي تحيط بالدعوة الإسلامية، وعملها في محيط صعب معقد يتطلّب المناورة والمهارة في دفع الأعداء، وتحييد بعضهم، واحتمال أهون الشرور المزدحمة التي تريد عرقلة الخطط الدعوية.

والأخ الكاتب هو أحد تلاميذي النّجباء، وكان يتصل بي بالمراسلة أولاً، ثمّ لقيته وسررتُ به وشافهته حين زرت الجزائر، ولذلك امتلكتُ شجاعة كافية سوغت لي حذف كلمات وجمل قليلة من مقالته رأيتُ فيها أثر الاستعجال، وبها صارت مقالته أبرأ وأليق وأبرك، والسلبية الشكلية الوحيدة في المقالة أنها نُشرت في موقع "الرواق" الانترنيتي الإبداعي، ثم خصَّ بها "**العين**" **ثانية**، وقد قبلتُ ذلك منه هذه المرّة، **لأهمية الموضوع**، ولأنها بداية، ولأن إعادة نشرنا لحوار الأستاذ الدكتور محسن عبد الحميد شفع له ورجّحَ تسويغ ذلك، لتأوله أن مجلة "الإيمان" التي نشرته أول مرة كانت محلية محدودة التوزيع، فكذلك القياس يجري لصالح مقالة الجكني، ولكن سوف لا تنشر "**العين**" بعد اليوم كلاماً سبق نشره في مكانٍ آخر.

وأنا مع تلميذي الوفي–الأخ صهيب محسن–**في ترشيحه المقالة للمدارسة في الأوساط الدعويّة**، وأثني عليه، **فإنها مقالة متوازنة، وشواهدها الواقعية صحيحة، وأسلوبها جميل، ومقارناتها بارعة**، وقد سارَ أخي الجكني وفق طريقتي في اقتباس حكمة إقبال.

وسيزداد وعيًّا وواقعيّة كلّ من يلبثُ مع هذه الأحرف ساعة، ثمّ يرجع إليها مرةً أخرى متأمّلاً اعتمادها الفكر الوسطيّ، والنقصُ الذي ارتكبته المقالة أنّها تحدثت عن **السّلوك الدعويّ السّياسيّ في بلادٍ**

ظروفها أقرب إلى الطبيعيّة، وتتوفر فيها هوامش من الحريّة تتيح المشاركة، ولم تتحدّث عن مثل ظروف الاحتلال الأمريكي للعراق، حيث أضافت الدعوة نظريّة أخرى بارعة في الذهاب مع الجهاد والسياسة معاً، وهي نظرية استَغربتها جموع من الدعاة ارتكسوا مع التقليد ولم يتطور فكرهم الاجتهاديّ، واستغرابهم دليلٌ آخر يؤيد تهمة الأخ الجكني لأمثالهم، وهو قرينة على التّخلف في الوسط الدعويّ وعلى قلّة الوعي واستبداد الوعي، والقضيّة تحتاج شرحاً مسهباً ليسَ مُتاحاً اليوم[1].

محمد أحمد الراشد

(1)-نشر هذا التقريظ في العدد 37 من (مجلة العين) العراقية ، وهي مجلة فصلية تصدر عن المركز الإسلامي للتطوير التنموي ،الذي يشرف عليه الشيخ الراشد حفظه الله .

مقدمة

بسم الله والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، **أما بعد؛**

❐❐ سأحاول من خلال هذه المقالة، معالجة إشكالية من إشكاليات الحركة الإسلامية، ضمن ثنائية حديّة هي **(الدعوة والدولة)**، مجتهدا وُسعي في تضمينها حشدا من المعاني والمفاهيم التي تجعل متأملها بإذن الله تعالى في موضع مكينٍ، يرى من خلاله شعرة الميزان التي أراد لها الكائد أن تختفي من وعي أبنائنا حتى كادت أعمالهم- لولا أنّ الله سلّم – تطيش بهم وتبتعد عن مقاربة السّداد والهَدي النبويّ المتبصّر؛ فحدثت اختلالات في المفاهيم والموازين الضابطة وغاب**(الفهم الوسيط)** بين طائفة عريضة من الثنائيات الحديّة التي لا نهاية لها، ذاك الفهم الذي حاولت أن أتغيّاه، فاجتهدتُ مع قلة زادي وشحّ وقتي أن أنقل لكم من خلالها مفاد علم نافع استفدناه مشافهة أو قراءة من **فضيلة الشيخ محفوظ نحناح** رحمه الله تعالى الذي يكاد اجتهاده في حقل الدعوة والله أعلم يتمثّل في اكتشافه لحلقة المفاهيم المفقودة بين هذه الثنائيات .

وقد استعجلني بعض إخواني وأخواتي أن أعجل بهذه المقالة التي أراها لما يكتمل نضجها بعد، إذ أراني ألبست معانيها ألفاظا ضيّقة ليست على مقاسها، والله أسأل أن يتحقّق بها بعض النفع. ❍❍❍

❑ جدل بارد

جدل بارد هو ذاك الجدل الذي كانت الحركة الإسلامية ولا زالت بعض أطيافها إلى يوم الناس هذا، تخوض في لججه مُفاضلة بين أنماط من الأعمال الضرورية كالجدل الدائر حول أهمية العمل السياسي و العمل التربوي ،أيهما أهمّ السياسة والحكم ؟ أم التربية والدعوة ؟ أن نشغل بإصلاح أنفسنا أم بإصلاح واقعنا ؟.. وهذا كله من المراء المذموم الذي انتبه إليه محمد إقبال فحذرك قائلا:

شَرَار الفأس دعْ منْ قال عنــه ** أمنْ فأسٍ؟ أمنْ حَجَرٍ يكون؟[1]

تماما كما قال رحمه الله دعك من هذا الغافل الفارغ الذي لا هَمَّ له إلاّ هذا الجدل الذي لا يجدي ، واعلم أن هذه الشرارة المنيرة اللامعــة لن تطمع بانقداحها دون إحضارك الفأس وضربك على الحجر ضرب الكليم(عليه السلام).

ثم هي كذلك أعمالنا الحركية والدعوية محكومــة بمعــاني هــذه **المعادلة الصناعية** ،فالشرارة الدعوية لن تنير طريق الناس اليوم ما لم تتكامل جهودنا الدعوية المتولدة عن فهمنا الشامل للإسلام ورســالته ، ولن تبلغ أهدافنا غايتها دون عمل استدراكي يرمم ما انهدم في نفوسنا بالتربية المستكنّة ، ثم ينبري في الوقت ذاته يمدّ يد التغيير المتوضــئة ليخنق بقبضتها أنفاس ظالم معتدي.. ويمسح براحها دمعة يتيم وعلــى كتفه يربِّت ويُهَدْهِد.. ثم مرة أخرى وبإشارة من أصبعها يُبَصَّر تائــه ضلَّ طريقنا ليرانا فيهتدي..

(1)–المجموعة الكاملة لإقبال: ديوان هدية الحجاز2 /484،دار ابن كثير الطبعة الأولى 2003

❑ ملائكيّة .. أم.. لائكيّة..

ولكن جمهرة من الدعاة أخطأت فهم معادلة الفأس والحجر هـذه، وانتهت إلى رأي ضعيف كليل، وصفه الشيخ القدوة نبيـل الجزائـر محفوظ النـحناح رحمه الله بأنه **(اللائكية الحركية)** [1].

وصدق رحمه الله ،إذ أصبح القائلون به في درك منـحط مـن الوعي؛ فقال بعضهم :السياسة وسخة ولا ينبغي لأمثالنا من الأطهـار أن يطالهم وسخها المنتن.

وقال آخرون: العمل الحزبي والسياسي بدعة شنيعة لا تشـهد لـه النصوص، فدعوا عنكم ما لقيصر لقيصر ، وحسـبكم الفقـه و قـالَ وحدَّثنا..

وقال أوسطهم : لا ينبغي لنا أن ننشغل بالسياسة أصلاً حتى يكتمل نضجنا و نتأله ونبلغ كمالنا التربوي .

وهذا النمط من القول هو بغية كل مستبد من حكامنا ،وسيجد فيـه كل كائد و علماني ولائكي .. قرة عين له ولأصحابه، وهي من التدين المغشوش والفهم الخاطئ الذي بيّن لك القرطبي–رحمـه الله –عـدم صوابيته بلفظة واحدة جامعة مانعة فأخبرك أن الرباني المتأله هو: **(الذي يجمع إلى العلم البصر بالسياسة)** [2]،

---

(1)-اللائكية: اصطلاح أصله من اللغة الاتنية وهو مُرادف في المغرب العربي لاصطلاح العلمانية في المشرق.

(2)-انظر القرطبي ج4 ص93 طبعة دار الفكر 2003 ، ، والظاهر أن هذا المعنى استفاده القرطبي من ابن عطية رحمه الله (ت546) صاحب المحرر الوجيز ، فقد قال:(**الرباني هو الذي جمع إلى العلم والفقه البصر بالسياسة والتدبير والقيام بأمور الرعية ،وما يصلحهم غي دينهم ودنياهم**) .المحرر الوجيز1/ 462 ، طبعة دار الكتب العالمية 1993 .

فصاغ لك بهذه المعنـــى معادلة دقيقة مفادها أن:

الربانية = الفقه + السياسة

فمن حاز بعض الفقه دون دراية بالسياسة فهو درويش، ومن حاز السياسة دون تربية وفقه فهو الجاف الذي ربما تفسَّق، ومـــن توســـط واعتدل فهو الداعية الرباني الذي دقق وفاز و تحقق، وحاشـــاك أيهـــا الأخ من الفسق، بل أنت من أهل الوسطية والفقه الجويني..

❑ الفقه الجوينـي اللاهب..

ولعل معترضا يستعجل برد كلامنا هذا ، ويضيق ذرعـــا مـــن أوصافنا ويزعم أن هذه الأيام أيام فتن وفساد زمان؛ فيها الشح مطـــاع والهوى متبع والعجب ظاهر.. وشروط مذهب **(فَعَلَيْكَ خُوَيْصَةَ نَفْسِكَ)** [1] اكتملت، ولا يسوغ إلا الركون إلى كهوف التربية ودفن النفس في أرض الخمول..كلا أيها الأخوة ثم كلا..

ليس منّا من ثوى في صومعه ** يحبسُ الأعمالَ والفكر معه
ضاق نفساً عن مجال وَسِعا ** فثوى في ضيقه قد خَنَعا
ليس شيئاً أنْ تُرى معزلا ** عابداً تخشى البرايا وجِلا
إنما العابد من خاض الحياةْ ** مُوضِحا فيها سبيلاً للنجاةْ
آخذاً بالعدل ما عنه حِول ** ذاكراً مولاه في كل عمل
إنّه بالحق موصولٌ ومَنْ ** يتَّصل بالحقِّ لا يخشى[2]

وهو ذاك أيها الإخوة لا غير ؛ خوض للحياة ونشر للعدل ثم الذكر موصول ، يصاحبكم عند نسائم الإصباح ويؤنسكم عند كل غروب.

---

(1)-سنن ابن ماجة كتاب الفتن حديث رقم 4004، وانظر الترمذي رقم 2984 وأبا داود رقم 3778.

(2)-عبد الوهاب عزام في قصيدة اللمعات.

صحيح أن هذه الحالة التي يحياها المسلمون منذ أكثر من قــرن من الزمن والتي اتسمت بالضعف والوهن وبتعطيل كبير لأغلب أحكام الشريعة وتصدّر من ليس للحكم بأهل..إلى مظالم وفتن كثيرة...

إنها حالة من التردي توجب على الثقــة أن يســعى فــي عمــل استدراكي يرد الأمر إلى نصابه وليس إلى القعود.

وقد نفث لك الجويني رحمه الله لهيبا من الفكر والفقه وقعّد لك منذ أكثر من عشرة قرون قواعد تزيل عنك الالتياث[1] ، فقد اختطّ لك سبل التحرك عند **خلو الزمان عن حاكم أو عن علم بتفاصيل الشــريعة أو عن أخيار مثلك** [2]، وبيّن لك طرائق اهتبال الفرص الســانــحة، وكيفية تحقيق الموازنات الدقيقة، وأساليب المناورة والمداراة وأهداك نظريــة متكاملة في إدارة الأزمات والتعامل مع حالة الانهيارات المتســارعة والفراغ السياسي وتصدّر الرويبضات..ونــحوها من الدركات.

إن الحركة الإسلامية لا يمكن أن تبقى مكتوفة الأيــدي لا تحــرك ساكنا، بدعوى انتظار ما سيكون بعد أن ينهار هذا النظــام أو ذاك أو يتبدل هذا الواقع أو ذاك..

وهذا الانتظار لا يليق بالداعية بل الواجب أن يتقدم لــيملأ الفــراغ الناشئ عن حالة الانهيار والتردي هذه، وأن يشارك في إدارة الأزمــة التي حلت ببلده وأن يقدم البدائل وأن يكون **(قوة اقتراح) في الحفــاظ على دولته وأمته و مؤسساتها المختلفة...**

---

(1)-الالتياث هو الاختلاط ، وقد سمى الجويني كتابه المعروف بالغياثي:(غياث الأمم في التياث الظلم) ، ورصده لبث الوعي عند وقوع الفتن واختلاطها.

(2)-قال رحمه الله :(...ثمّ أَقدّر شغورَ الحين عن حماة الدين ، وولاة المسلمين، وأوضّح إذ ذاك مرتبط قضايا الولاية، وأنهي الكلام منتهى الغاية .....) ص 16 الغياثي بتحقيق دعبد العظيم الديب

إن التعامل الدقيق والحاسم مع تلك الأوضاع يشهد له هـذا الفقـه الجويني القديم الذي احتفل به قبلك رهط قديم من الدعاة من أمثال العز والشاطبي وابن تيمية.

ولعل صنيع إخواننا هذه الأيام في الحزب الإسلامي العراقي ، هو إعادة إنتاج واع لمعاني هذا الفقه وتطبيقاته كما أعادها من قبل إخوتك في الصومال و في الجزائر.

❑ السياسة كذلك من إسلامنا

ومن فضل الله علينا أيها الإخوة ؛أن وهبنا فهما شاملا للإسـلام، فنـحن لسنا جمعية سياسية وإن كانت السياسة من اهتمامنـا ولسـنا طريقة صوفية وإن كان التصوف سمتنا...ولسنا.. وإن كان...

وبهذا **(الفهم الواعي الوسيط)**والعمل على مقتضاه أصبح حضورنا بحمد الله يحاصر كل المشاريع التي أرادت أن تنشر الإفساد العلمـاني الأثيم في ديارنا، وباتت دوائر الاستخبارات الغربيـة تبصـرنا وقـد اندحرت أمام زحفنا ولم تجد سوى تحريك آلة الإعلام التي ظلت تروج البهتان عنا في حرب مسعورة غيـر متكافئـة، سـلاحها الكلمـات وحروفها، والمصطلحات ومتضمناتها، التي يراد مـن خلالهـا قلـب المفاهيم وصناعة رأي عام مضاد.

ونـحن نقرأ اليوم تطور هذه الحرب الإعلاميـة ، كيـف بـدأت بترويج مصطلح **(الإسلام السياسي)** الذي لا ينطلي علينا مضـمونه وقد روّج له من خلال كتابات طائفة كبيرة من الكتّـاب الأكـاديميين، ولعل أبرزهم من العرب : نصر حامد أبو زيد، فرج فـودة، جـلال صادق العظم، حسن حنفي، حسين مروّة، وآخرون.

وأغلب هؤلاء يشكك في نهجنا وإمكانية نجاحنا وبعضهم يتهمنـا بالعمالة وبعضهم يعيرنا أنا لا نمتلك برنامجا.. وهكذا اختلفت أقوالهم

بعد أن أسقط في أيديهم إذ ظهرت لهم جديتنا في السير نحو إصلاح السياسية، ورأوا جهود عملنا القديم المتراكم تؤتي ثمارها في الأمة..

وهم اليوم اختلقوا مصطلحا آخر هو **(الإرهاب)**،وكيدهم هذا لا يثنينا و**(المستقبل لهذا الدين)**،ونحن بحمد الله نمتلك مجموعة من النظريات المختلفة للتغيير ولعل أهمها نظرية التغيير من خلال البرلمانات والدساتير

وهي نظرية تتماشى في بعض جوانبها مع النظرية الجوينية السابقة في إدارة الأزمات وتختلف عنها في نواح ، وقد قدم الأستاذ الفاضل نجم الدين أربكان ورهطه نماذج تطبيقية متقدمة لهذه النظرية وكذلك الإخوة في الأردن وفي الجزائر لولا تعثّر في المسيرة استخدمت فيها الديمقراطية كطُعم قاتل لبعض الأطياف الإسلامية التي استعجلت.

وطريق هذا التغيير شائك أيها الإخوة وكثيرة ألغامه، و فيه قطّاع طرق أهل التزوير الذكي، واجتمع فيه الغشاش والرشاش كما يقول الشيخ النحناح رحمه الله.

ولا يعني كلامنا هذا تلاشي الأمل بجدوى هذه النظرية كلا بل هي نظرية نافعة إذا واتتها الظروف ، وينبغي أن نعدّ لها عدتها:

- من خلال إعداد مشاريع قوانين عادلة واقتراحات إيجابية نتغيّا انعكاسها على حياة الناس لترفع بعض الغبن عنهم.
- ومن خلال الاستعداد النفسي لمزاحمة المفسدين على أبواب البرلمانات وتقليل عددهم بهذه الخلطة المنافسة.
- ومن خلال اختراقنا وانبثاثنا وتوغلنا في مؤسسات ودوائر صنع القرار وتحييدنا لبعض الخصوم واستمالتنا لبعضهم الآخر.
- ومن خلال مشاركتنا في كل عمل لتمدين السلطة والحياة السياسية والتقليل من نفوذ ذوي الصرامة من العسكريين المتلصصين.

- ومن خلال إبرام التحالفات وبحث عن الحلفاء المرحليين لنضمن لحركتنا وجودا مستمرا في المعادلة السياسية.

وأمثالها من العُدَد التي هي أحلامنا والتي نفسرها بتطوير آلية الحوار وتجسير العلاقات والاتصالات مع القبائل والأحزاب...وغيرها من خلال خطاب سياسي واجتماعي يستوعبون أبعاده.

ثم نحن نصاحب كما قال إقبال كل من نتقاطع معه في بعض الأهداف ونتقوى به ويتقوى بنا..

أرافق في طريقي كلَّ سارٍ ** وأعطيه نصيباً من طريقي
ولم أر في طريقي مستعدًّا ** يكون إلى نهايته رفيقي[1]

❑ صحيفة مدينتنا مباركة..

وأول بوادر هذا التخطيط أن نرضى بقوانين اللعبة السياسية كما يقولون، وحاشانا أن نكون أهل لهو ولعب وإنما هو اصطلاح العصر..

تقتضي السياسة أن نحدد ** أدوارنا في **لعبة التِّيجان**
لا الشاهُ أنت بها ولا أنا بيدقٌ ** هذا اختيار اللاَّعب الشيطان
إن البيادق **إنْ أعاقت** نفسَها ** دلّتْ على شاهٍ بلا

وكلام إقبال هذا يكاد ينطبق على بعض أطياف الحركة الإسلامية، التي كثيرا ما تحمل معوقاتها على ظهرها ،وكثيرا ما تكون هي عدو نفسها.

و**(لعبة التيجان)**هذه تقتضي منا أمرا آخر أيها الإخوة ؛وهو أن نعلن عن قناعاتنا السياسية وإيماننا بالتعددية وحقوق المواطنة وبالتداول السلمي على السلطة ونبذ العنف ونحوها ، كما حدث في

(1)-ديوان هدية الحجاز ، المجموعة الكاملة ج1 ص 534
(2)-المرجع السابق ج 1 ص 542

(وثيقة 1994) الشهيرة التي أعلن من خلالها الإخوان المسلمون إيمانهم بكل هذا.

ومن بوادر هذا التخطيط أيضا أن ننتهي عن أمثال شعاراتنا الجوفاء السالفة، وأن نخاطب الناس بلغة عصرهم وعلى قدر عقولهم ؛ ما معنى بربكم قول بعض إخواننا :**(لا ميثاق لا دستور قال الله قال الرسول)** [1]؟

هذا الكلام مخيف حقا ومرعب ، ثم ليس هو صحيحا عند التحقيق وإنْ تزين باسم الجلال تبارك وتعالى وباسم الرسول عليه الصلاة والسلام وهو شبيه بقول بعضهم:

العلم ما كان فيه قال حدثنا ** وما سوى ذاك وسواس الشياطين[2]

فانظر يرحمك الله كيف ضاق عنده العلم إلى علم رواية؟؟

والله لقد أضرنا هذا الضرب من الخطاب وفتح علينا جبهات وعداوات متجددة ووضعنا في حروب نحن في غنى عنها، وما الدساتير –أيها الأخوة–إلاّ وثائق عهود لها نسب بوثيقة المدينة المنورة التي أسست لنشوء الفكر السياسي الإسلامي!!

بل حتى شعار **(الإسلام هو الحل)** أصبح لا يكفي وحده أيها الإخوة، يراد منا اليوم أن نقدم برامج تنموية متكاملة وأن نمتلك رؤى استراتيجية وأن نُعدّ لحالة الطوارئ احتياطاتها وخططها...

وأنا على يقين تام أن السبب في عدم امتلاكنا لهذه المستلزمات الخططيّة هو حداثة النشأة وتراكمية الفساد ثم إن أوضاعنا لم تستقر بعد إلاّ قليلا ولم نستطع التقاط أنفاسنا لنكتب ما نريد ونختط الخط

(1)-هذا شعار لحملة انتخابية رفعه أنصار الجبهة الإنقاذ الإسلامية في الجزائر في يومها.
(2)-هذا البيت ذهب عني اسم نظامه ،وهذا حاصل معناه وكنت أحفظه ولا أذكر صاحبه فلعله للشافعي رحمه الله.

لكن هذا العذر قد طال وانبغى لنا اليوم أن نتأنق ونصحح هذا المسار، كفانا أيها الأخوة.

❑ تعالوا معنا نتأنق...

لماذا أحسنا الافتخار في أشعارنا وخطاباتنا ونجوانا بالسجناء والمعذبين والمعطوبين وبأدب المحنة والفقر وتزهّد الخرق والحصائر البالية.. ما هذه البذاذة ؟!ليس قدرنا أن نكون هكذا أيها الإخوة.

صحيح سنظل نفخر بأولئك الأخيار الذين اهتزت بهم عيدان المشانق والذين جددوا بحق سنة خبيب رضي الله عنه فصلوا ركعتي الشهادة ولم يطيلوها في مصر والعراق وتونس وغيرها، ولكن انبغى لنا:

- أن نتكيّف في مرونة ونتأنّق قليلا ونتعلم مفاد الوعي و الجمال الأخلاقي وذوقيات وإداريات ومعانٍ جديدة كثيرة صاح بها رهط من الأفاضل يتزعمهم السويدان وأمثاله.
- وأن نعيد النظر في برامجنا التربوية لإنتاج كوادر قيادية اجتماعية وسياسية تحسن الإنصات لأنين الضعفاء وتحسن إعطاء البدائل وإدارة الأزمات وإدارة الدولة و تحسن الخطاب وتحسن التفاوض والتخطيط و قيادة الجماهير.
- نريد إنتاج رجل الدولة مع رجل الدعوة.
- ونريد تربية الحزبي و المواطن الصالح الذي يحترم القوانين والدساتير ويعمل على تغييرها سلميا.
- نريد ونريد...قائمة طويلة من الذوقيات وكتل الأخلاق الجمالية.

❑ إعياء العَضْباء قَدَرٌ لا بد منه

قال الشاعر:

ومنْ رَكِبَ الثَّوْرَ بَعْدَ الجــوَا دِ ، أنْكَــرَ أظْلافَهُ والغَبَــب[1]

وهذه حقيقة أخرى من **الحقائق النفسية** التي ينبغي أن نــدركها، إذ نــحن في هذا الطريق الجديد ،انتبه لمفادها المتنبي في هذا البيت من شعره الجزل.

فركوبنا الثور أيها الإخوة وقد ألفنا الجياد ، يجعلنا نستنكر غرابــة نجدها في عظامه وأظلاف بدنه وفي هذا اللحم المتدلي من حنكه الذي تسميه العرب غببا.

والمعنــى أيها الأخوة أنّ قول بعض إخواننا **(أن العمل السياسي سينــحت من مخزوننا التربوي)** هو قول صحيح وصــادق، ولكــن قدرنا أن نركب هذا الثور لنــزرع أرضنا بعد أن جاء الغيث مدرارا.

بالأمس في**(دار الدعوة)** كنا نعيش في مجتمعــات خاصــة بــين إخواننا أهل العفاف والإيثار،

واليوم في**(دار الدولة)** يراد لنا أن نعيش مــع النــاس مخــالطين ومتصدّرين ..إذ سيتأتّى لهم اكتشاف قدراتنا وكفاياتنــا فــي التســيير والحكم بدلا من الشعارات والتعميمات التي كنا نصيح بها.

بالأمس كنا نَعِدُ الناس بالجنة إن هم صبروا واتقوا، واليــوم هــم يريدون منّا مع الجنّة أن نوفر لأحدهم مسكنا يأويه ووظيفــة تطعمــه وتسقيه..

---

(1)-هذا البيت للمتنبي انظر ديوانه

وبين الدارين أيّها الإخوة؛ مسافة طويلة لا تقطعها إلاّ العضباء القصواء من الإبل الرواحل التي ليس من أخلاقها أن تخْلأ.

والعضباء اليوم ليست سوى هذه **(الأحزاب السياسية)**، والأشكال التنظيمية، التي ينبغي أن نحرص على إنشائها في زمن الانفتاح هذا، فهي **مركبنا الجديد** الذي سيحملنا **ومن معنا** ، بعد هذا **الترحيب** الذي أبدته لنا مجتمعاتنا التي أيقنت أن مشروعنا هو أملها الأبيض الباسم، ثم ها هو **الظرف الدولي** قد واتى ورياح التغيير قد هبّت محدثة تحولات عميقة انبغى لنا أن نهتبلها في العالم كله بعد **أن اكتملت شروط المسار الأربعة**[1].

لكن هذا الكمال في الشروط لا يعني أن هذه الأشكال التنظيمية التي نسميها أحزابا وجمعيات ونقابات ستلقى ذاك الترحيب والالتفاف الجماهيري الذي وجدناه يوم كنا للمسجد حمائم وكان خطابنا يبلغ الناس من على أعواد المنابر.

اليوم الساحة ساحة المنافسة الشديدة، فللآخرين خطابهم وبرامجهم وكفاءاتهم، ويعدون الناس مثل ما نعدهم، **ولهم ربما إعلام يشوه صورتنا ويشكك ويقذف الريبة..**

وقد حصل التشويه للمشروع الإسلامي بالفعل ، فلربما نُسبق في مضمار الصراع الحزبي والانتخابي وإن كنا أخيارا.

وفي الخبر الذي أورده البخاري وغيره عبرة لمن اعتبر : جاء في الصحيح في كتاب الرقاق وفي كتاب الجهاد والسير: (عن أنس- رضي الله عنه-: كَانَتْ نَاقَةٌ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُسَمَّى الْعَضْبَاءَ وَكَانَتْ لَا تُسْبَقُ فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى قَعُودٍ لَهُ فَسَبَقَهَا فَاشْتَدَّ ذَلِكَ

(1)-هذه شروط الانفتاح الأربعة أشار إليها شيخنا محمد أحمد الراشد حفظه الله في كتابه المسار، وهي : عدد يكفي، وظرف يواتي، ومجتمع يرحب، ومركب يحمل

عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَقَالُوا سُبِقَتْ الْعَضْبَاءُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يَرْفَعَ شَيْئًا مِنْ الدُّنْيَا إِلَّا وَضَعَهُ.) [1]

وفي رواية أخرى : (فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ حَتَّى عَرَفَهُ) [2] أي عرف اثر ذلك في وجوههم. وفيها بدلا عن (أَنْ لَا يَرْفَعَ ..) (أَنْ لَا **يَرْتَفِعَ** شَيْءٌ مِنْ الدُّنْيَا).

بهذا إذا جرت السنة الكونية أيها الأخوة، فلا تحزنوا إذا حصل لنا تراجع في انتخابات حاسمة، بعد أن كنّا نحسب أنفسنا رقما ضخما في المعادلة ، فإن الأيام دول ، وقد يسبقنا حزب نكرة، كهذا الأعرابي الذي سابق نبينا(صلى الله عليه وسلم)كما في رواية شعبة فسبقه.

وهو النبي الكريم المؤيد بالوحي، وبهذه الناقة المنوّقة التي ميّزوها بشقٍّ في أذنها وتلقبت إذ ذاك بالقصواء والعضباء، و كانت لا تكاد تسبق فهي سابقة الحاجّ كما في صحيح مسلم [3] وفاخر بها نبينا(صلى الله عليه وسلم) يوم الحديبية فأخبر أنها ((مَا خَلَأَتْ الْقَصْوَاءُ وَمَا ذَاكَ لَهَا بِخُلُقٍ)) [4]، فهي من جيد الإبل الرواحل.

وأمّا ذاك الأعرابيُّ فإنّه نكرة، أخبرك **ابن حجر في فتحه**[5] أنه وبعد تتبع وصفه بالشديد لم يقف على اسمه ، ثم هو يركب قعود ليس إلا!!؟

فالدرس الرمزي–أيها الإخوة–الذي انبغى لنا أن نستفيده من هذه الواقعة هو أن **نحذر أن يطيش بنا الغرور** ونكتفي إذ نحن في أول هذا الطريق بفوز انتخابي قد تثمره **أصوات الغوغاء** التي ربما

(1)-رواه البخاري في كتاب الرقاق باب التوضع حديث رقم 6020
(2)-رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير باب ناقة النبي حديث رقم 2660
(3)-أنظر صحيح مسلم كتاب النذر حديث رقم 3099
(4)-رواه البخاري كتاب الشروط حديث رقم 2529
(5)-انظر فتح الباري ج74/6

نـــحصّلها جراء **تصويت عقابي لصالحنا** أو أمل في حلـــول ســـحرية كانوا يظنون أنها عندنا نأتيهم بها بحركة خـــاتم ســـليماني أو عصـــا موسوية...

❑ الوعي قبل الوعاء..

ولا زلنا أخيارا بحمد الله، ونـــحن الرقم ، ومـــا خســـرنا كـــل الخسارة بعد؛ **ولكن ما حدث في الجزائر والأردن والمغرب وغيرهـــا من بلاد الإسلام يعظنا بمزيد بذل ، ويعظنا بضرورة بث للوعي، وأن التربية لا بد أن تساير عملنا السياسي والحزبي .**

ولا بد أن نبذل التربية للناس جميعا، وأن نعلمهم صنعة الجهـــاد وأن يكون الواحد منهم مستعدا إذا هو أيّدنا أن يضع حجرا على بطنه و أن يكون قادرا على مصابرة حصار ظالم قد يفرض علينا، بـــل أن يضع في الحسبان قطرة دمه إنْ جدّ الجدّ...

أما إذا اكتفينا بالوعاء الانتخابي دون وعي؛ فقد نهلك تحت قانون (أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ) [1]، وقد نطغى بآلية (كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَـــى، أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى) [2].

❑ الشركاء المتشاكسون

ثم إن ما يحدث في السودان وتركيا هذه الأيام مـــن تشـــاكس واختلاف يعظنا كذلك أن نـــحذر من الانصراف الكلي عن دار الدعوة والتربية، أونغفل عن تحقيق التوازن المطلـــوب فـــي توزيـــع الأدوار وتحصين للصفوف الخلفية، فيقع التزاحم بالمناكب على الدنيا، ويكثـــر اختلاف الدعاة وتنافسهم على المناصب: **أيّهم يقـــدَّم للترشـــيح فـــي القائمة؟ وتشتعل المعارك، وينصرف الدعاة أصحاب العطاء التربوي إلى مقاعد البرلمان وقبته، وينسون تواضع خالد وزهد أبي ذر وبذل**

(1)-سورة التكاثر ،الأية 01
(2)-سورة العلق الاية 06، 07

ابن عوف، ويغفلون ويذبل الزرع بعد أن حان الحصاد، ويقع التنـــابز بعد أن **كان الإخاء**..

قُمْ فسكّن من ضجيج الأمـــم ** واملأ الآذان زهـــرَ النَّغـــم
جدِّدَنْ في الناس **قانون الإخاء** ** وأدِرها كأسَ حبٍّ وصفـــاءْ
أبلغ الناس رسالات الســـلامْ ** وأعدْ في الأرض أيام الوئامْ[1]

****

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

كملت بعون الله بالجزائر يوم الخميس 08 ربيع الثاني 1425هـ
الموافق 05 ماي 2004م

(1)-محمد إقبال ديوان أسرار ورموز .